بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية اللغات

الشِّعْرُ السِّياسيُّ وَأثرَهُ فِي الحياةِ الفِكْرِيَّةِ فِي السُّودانِ (١٩٢٤-١٩٥٦م)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد

إعداد الطالب:

محمود زين العابدين محمود

إشراف

١/ بروفيسور/ الحبر يوسف نور الدائم

٢/ دكتور/ محمد دؤود محمد دؤود

يونيو ٢٠٠٩م

مستخلص البحث

تناولت الدراسة " الشعر السياسي وأثره في الحياة الفكرية في السودان" ، وهي تعني بمسيرة الشعر الفصيح لهذا الفن في الفترة من ١٩٢٤م-١٩٥٦.

تمثل هذه الحقبة أخصب عصور الإنتاج الأدبي لاسيما الشعر، حيث كان أفراد المجتمع أحد أثنين، أما قارض للشعر أو متذوق له، فضلاً عن الرعاية التي كان يجدها من الجمهور والشعراء والزعماء والساسة.

كانت القصيدة تقوم بدور البيان السياسي والخطب الجماهيرية إذ عبرها تصاغ مطالب الأمة ومن خلالها تحدد المواقف المختلفة في أروع الصور وأنضرها وأبهاها. من أجل ذلك كان أثر الشعر في حياة الأمة عظيماً وكان يعطي الحفاوة والاهتمام والتقدير ما يتناسب وفعله الساحر بالنفوس ودروه البناء في توجيه المجتمع إلى مراقي التطور السياسي والاجتماعي والأدبي.

أعتمد البحث على ثلاثة مناهج وهي: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، وتطرق إلى الخلفية السياسية والاجتماعية والفكرية لمعرفة البيئة التي أنبتت الشعر، ومن ثم أثرها في تكوين وصياغة عبقرية الشعراء وصقل مواهبهم وقدراتهم. كما تتبع الموضوعات التي نظموا فيها والقضايا التي اهتموا بها والميادين التي خاضوا فيها بعبق الكلمات وروائع الفن.

تتبع البحث أيضاً أثر الشعر السياسي في الحياة الفكرية وأضاء الجوانب التي كان إسهامه فيها واضحاً بشيء من الإطناب، كما ركز على المؤثرات الداخلية والخارجية المرتبطة بتطوره.

أستقصى البحث بالدراسة والتحليل التطور الفني للشعر السياسي، أسبابه ومراحله ومؤثراته مستعرضاً التيارات الشعرية وأهم روادها، إلى جانب نقدها وعقد المقارنات بينهما لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف.

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة مسايرة الشعر للحركة السياسية بالبلاد والتفاعل مع نشاطات المجتمع المختلفة، ومعالجة الشعراء قضايا وطنهم وأحواله الاجتماعية واهتمامهم بأحداثه وتحدياته، أختتم البحث بخاتمة ونتائج وتوصيات وقائمة بالمراجع والمصادر والأعلام وأبيات الشعر.

Abstract

This research, entitled "Poetry in the political impact of the intellectual life in the Sudan" means the process of hair Literate this art in the period of 1924-1956.

This is the most fertile era's era literary production, particularly poetry, was one of the two members of the community the rodent hair or a connoisseur, as well as the care which was found from the public and leaders, poets and politicians.

The poem is the role of the political speeches across the nation demands formulated, and through them identify the different positions in the wonderful pictures and Andharha Obhaha. In order that the effect of poetry in the life of the nation and was a great civilization and of the interest and appreciation in proportion to the magician to do Blanco's of the building and its role in guiding the development of hypochondriac society to the political, social and moral. The discussion of the background of political, social and actual knowledge of environment in which Oneptt hair, and therefore their impact on the composition and formulation of the genius of poets and refine their talents and abilities. The topics that follow are organized and walk ability of the issues and areas that are involved in forms of words and the best works of art.

Tracking the impact of research in the political life of poetry and intellectual aspects of light in which his clear some redundancy, and focused on internal and external influences associated with their development.

Explored the research study and analysis of the technical development was the political causes and levels and trends its effects and presenting poetry, the most important responses , as well as criticism and comparisons between them to find similarities and differences, and concluded on a note of researches findings and recommendations and a list of references and sources and the media

المقدمة:

لم يكن قرار البحث في الأدب السياسي من قبيل المصادفة، بل كان نتيجة طبيعية لاهتمام الباحث بدراسة الأدب السوداني، وتوجيه عنايته له في ميدان الشعر على وجده الخصوص. فقد ظل الميل يدفع نفس الباحث والقناعة تغمره بين الفينة والفينة بضرورة سير أغوار الشعر السياسي وما يتصل به من مسائل فنية وأدبية.

إن الشعر السياسي يمكن أن يمثل المدخل الأساسي لفهم أحداث النصف الأول من القرن الماضي وما تلاها من أحداث، فالمناخ الأدبي والفكري كان هو المحرك الأول لتاريخ تلك الحقبة، حيث ارتبط الشعر بالتحركات الاجتماعية والجمعيات السرية للأدبية والسياسية، كما ارتبط بالمناسبات الدينية التي كانت تعد أنسب المنابر لمخاطبة الجمهور.

وفوق هذا وذاك تمثل هذه الفترة أخصب العصور الأدبية في تاريخ السودان الحديث، لما تميزت به من غزارة الإنتاج، واكتساب التجربة الشعرية أنماطاً جديدة في الشكل والمضمون، إلى جانب العناية الكبيرة التي حظي بها الشعر من قبل الجمهور والعلماء والمثقفين.

في هذا البحث نتتبع مسيرة الشعر السياسي الفصيح في حقبة النضال الوطني التي امتدت من ١٩٢٤-١٩٥٦م، وإن كان الباحث في هذا البحث يعنى غياب فنون الشعر الأخرى وهي كثيرة، والشعر متلاحق بعضه مع بعض، فالتركيز على الشعر السياسي لا يعدو أن يكون اجتهاد باحث له رأيه ونهجه، ثم أن اختيار الباحث لموضوع البحث يمثل محاولة لإبراز الحياة الفكرية للمجتمع السوداني من خلال الشعر باعتباره فناً يسجل الحياة ويبعث الأمل، ويمتلك نهجاً حراً في توضيح معالم المجتمع بعيداً عن القيود والتردد بين ذكر الواقع والهروب من الحقائق.

يركز البحث على مشكلتين أساسيتين، الأولى: كفاح الشعر السياسي في الحياة السودانية عبر مقاومة البيان ومدى نجاحه في حفز المواطنين وحشد طاقاتهم وتعبأتها من أجل لإجلاء المستعمر.

وتمثل المشكلة الثانية في أثر الشعر السياسي على فضاءات الفكر وعوالم الإنتاج الفعلي في الفترة المذكورة والتي توقت بالاستقلال.

كان المنهج الواحد لا يكفي لمثل هذه الدراسات، فقد اعتمد الباحث على المنهجين التاريخي والتحليلي الوصفي، فالمنهج التاريخي أفادها في تناول الأحداث التاريخية وربطها بالمواقف الأدبية والآثار الفكرية التي صحبتها وارتبطت بها.

أما المنهج التحليلي فتجلت أهميته في تحليل النصوص والقصائد والمقطوعات الشعرية ونقدها ومعرفة ما بينها من صلات.

وعندما تجمعت بين يدي مادة صالحة لدراسة الشعر المعاصر في السودان، اتجهت الدراسات المماثلة لا ستجلى طرق تناول أصحابها لهذا الشعر، فوجد الباحث أن الدراسات الجديرة بالذكر خمس. بعنوان "تيارات الشعر العربي المعاصر في السودان، صدرت عام ١٩٧١م الأولى: للدكتور محمد مصطفى هدارة، وقد عمل بالسودان لمدة ثلاث سنوات في أواخر الأربعينيات القرن الماضي، وقد اتبع فيها الطريقتين الأسلوبية والفنية لم تشر إلى النواحي الفنية إلا عاماً. إلى جانب التحيز الواضح لبعض الشعراء وتحامله على آخرين وقد قسم الشعر السوداني إلى تيارات: تقليدي، ورممانتيكي، وواقعي، وواقعي اشتراكي. وقد اتبعه في ذلك التقسيم الدكتور محمد النويهي صاحب كتاب "الاتجاهات الشعرية في السودان"، وأحمد أبو السعد في كتابه "الشعر والشعراء".

والدراسة الثانية وهي دراسة جامعية بعنوان " الشعر الحديث في السودان" للدكتور عبده بدوي، وقد اتبع فيها التقسيم التاريخي السياسي متحدث عن ثلاث فترات في حياة الشعر الحديث في السودان.

كانت الفترة الثالثة من العام ١٩٢٤م لتنتهي عند العام الذي كتب فيه بحثه وهو عام ١٩٥٣م.

أما الدراسة الثالثة فهي للدكتور صلاح الدين المليك والتي كان عنوانها "شعراء الكيان الوطني في السودان من عصر الفونج على عام ١٩٧٠م"، من جامعة الخرطوم. تناول فيها عدداً مقدراً من شعراء الوطنية مبرزاً دورهم في محاربة الاستعمار ومفوهاً بفضلهم في ذلك.

وهناك دراسات أخرى لم يضنها حديث الباحث قفي هذه المفرقة، إما لأنها في فترة مبكرة من تاريخ الشعر السوداني لا تعني الباحث كثيراً في بحثه مثل "تراث الشعر السوداني" للأستاذ عز الدين الأمين الذي تناول فيها بالدراسة الشعر في عصر الفونج (١٥٠٤-١٨٢١م)، ثم في العصر التركي (١٨٢١-١٨٨٥م)، ثم في عصر المهدية (١٨٨٥-١٨٩٨م). ودراسة الأستاذ محمد محمد علي التي تناول فيها الشعر السوداني في المعارك السياسية من عام (١٨٢١-١٩٢٤م) تشمل فترات الحكم التركي والمهدية والحقبة الأولى من الحكم الثنائي ليقف عند اندلاع ثورة ١٩٢٤م.

وإما لأنها دراسات محصورة متقضية ركزت على شاعر بعينه مثل دراسات أحمد عبد الله سامي، في السياسي والتجاني أو دراسة مثل دراسات عبد القادر شيخ إدريس في إدريس جماع.

أو لأنها تناولت قضية محددة من قضايا الشأدب والحديث مثل دراسة الاستاذ بله عبد الله مدنى" تطور المضمون والشكل في الشعر السوداني (١٥٤٠-١٩٤٠م) فدمت لنيل درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٨٥م.

أو دراسة الأستاذ حسن أحمد الشيخ "التيار المحافظ في الشعر السوداني المعاصر (١٩٢٠-١٩٧٥م) نال بها درجة الماجستير من جامعة الأزهر عام ١٩٧٩م. وإما لأنها ترديد لبحوث سبق أن أشرت إليها

والباحث هنا ليس في مجال تقويم لهذه البحوث والحكم لها أو عليها، فهي بين أيدي الدارسين منذ سنوات، وقد أسهمت جميعاً بنصيب في دراسة الشعر

السوداني، ونواحي الاتفاق والاختلاف بين الباحث وبين هذه الدراسات، وسوف يشير إليها الباحث في مواضعها في بحث هذا.

وقد حاول الباحث في هذه الدراسة أن يقدم صورة متكاملة للشعر السياسي مرتبطاً بحياة السودان السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبقضاياه الفكرية.

فالشعر السوداني من منظر عام لم يحظى بالدراسة المستفيضة التي حظي بها سواه من الشعر العربي في البلاد العربية الأخرى، على كثرته واسمهامه في كافة الفنون التي مارسها في رحلته الفنية، وهنا تكمن أهمية بروز كُتّاب سودانيون ينفضون عنه غبار السنين الكالحة التي عدت عليه لينفتح على العالم العربي والعالم بتراثه وتاريخه بعد ترشيح فاحص تكشف عنه الغيوم التي أضفاها عليه كُتّاب غربيون وشرقيون مقلدون.

ويرجو الباحث ألا يدع ديواناً مطبوعاً أو مخطوطاً دون أن يعكف عليه أو يلم به، ولكن حالت دون ذلك عوائق يعرفها الدارسون، ويظن الباحث أن ما فاته الاطلاع عليه ترك جانباً من السواد في الصورة التي رسمها للشعر السوداني الحديث. لأن القدر الذي الطع عليه ــ وهو أوسع مدى من كل البحوث التي سبقت هذا البحث ــ كفيل لتوضيح الصورة ونقائها، إلى جانب ما عاناه من جهد في تتبع النصوص بقدر ما أتاحت له الظروف والطاقة.

لقد قال شعراؤنا الكثير الطريف، أسالوا الدموع وانتزعوا الإعجاب وصوروا الحياة بآلامها وسعادتها، واستطاعوا أن ينقلوا بنظمهم الصحيح أنفاس الثورة إلى وجدان المجتمع فغاروا في أعماقه وانتشلوه من وهنه.

فكنا نستشهد بشعرهم في ثنايا هذه البحث وفق ما يقتضيه الموضوع، فقد نورد من القصيدة البيتين أو الثلاثة أو عدداً من الأبيات، وربما نكتفي في بعض الأحيان بالبيت الواحد، أو نورد القصيدة كاملة حسب ما يحقق استيفاء القضية الأدبية أو المسألة المثارة حقها.

هذا وقد لاقى الباحث في هذه الدراسة مشقة قاسية مردها شح المراجع، وضيق مجال النشر. ولا شك أن الاستعمار أثره الفعال في إعاقة مسيرة الثقافة

عامة والأدب خاصة، ولا تزال عقابيله ساعية في قبر التراث، ولولا بعض الجهود الخيرة التي قام بها بعض المجتهدين بالأدب السوداني الذين نشروا بعض الشعر مع نبذة مقتضية عن الشاعر لضاع معظم ما وصل إلينا من شعر، فلا ينسي الأدب العربي من هؤلاء محمد عبد الرحيم صاحب " نفثات اليراع"، و سعد ميخائيل الذي نسقت براعته "شعراء السودان".

ولكن ما يبعث الألم في النفس، الضياع المتعمد الذي طال إنتاج معظم الشعراء، فهناك عدد كبير من هؤلاء لم يطبعوا دواوينهم ولم يهتم القائمون على أمر الأدب والفكر بها. فلم يجد الباحث سوى كتب بالية مهترئة تقبع داخل الأرفف المنسية في غياهب المكتبات.

كما رأى الباحث أن يكون تصميم بحثه على هذا النمط:

الباب الأول: ويحتوى الخلفية السياسية والعقلية والاجتماعية

الباب الثاني: ويحوي الشعر

الباب الثالث: ويحوي أثر الشعر في الحياة الفكرية

الباب الرابع: ويحوي الدراسة الفنية

وهذا التصميم أراد به الباحث إبراز فن الشعر ومؤثراته في صورة تعرب عن إسهامه في الرصيد الأدبي، وأن يفتح نافذة يطل منها أدباً وشداة الأدب والنقاد على مدى الساحة العربية من نتاجنا المحلي، والوقوف على مشاركته في إثراء الحياة الأدبية لأمتنا العربية ولم يريد التعرف على إبداعاته.

إذا كان لا بد من إيضاح مساهمة البحث في اغناء الفكر الإنساني تقيداً بالتقليد الذا١ي جرت عليه الرسائل الجامعية، فإن أول جوانب النقص حولها وتوضيح الحقائق بالشكل المطلوب. كما يسهم البحث أيضاً في توضيح وتجلية تأثير الشعر على الحياة الفكرية بصورة موسعة، حيث أن الباحثين لم يعطوا هذه المسألة الاهتمام الذي تستحقه، مر عليها بعضهم مرور الكرام، وطرقها آخرون طرقاً خفيفاً عجزوا معه عن إظهار معالمها وسماتها. فمعرفة هذا التأثير وتناوله بشيء من الإذهاب يمثل إضافة حقيقية للفكر الإنساني.

فقد يجد قارئ هذا البحث في خلال صفحاته ما يزيده اهتماماً بأمر الشعر السياسي وشغفاً يتتبع نهضته، فإن خير عمل قومي يؤديه الباحثون هو القيام بتعريف النتاج الأدبي ولفت الأنظار إلى نواقص وعيوب الأعمال الأخرى ليتفاداها شعراء المستقبل، ويعملوا على تطوير نتاجهم وإغنائه بكل عوامل التفتح والحياة. فإن بلغ الباحث ذلك المدى فمن فضل الله ومنه وكرمه وإن عثر دونه فذلك جهده وطاقته وإسهامه في أداء الواجب الأدبي المقدس.